الـزَّواج السَّعـيــد

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، خلق آدم فسوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل له سمعاً وبصراً، أحمده سبحانه على نعمه التي تتوالى برّاً وفضلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله صاحبُ الشَّفاعة الكبرى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه قادةِ الهدى ونجومِ الاهتداء.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التقوى فإن من اتَّقى ربَّه وقاه، وقربه إليه وأحل عليه رضاه.

أيها المسلمون:

الأسرة أساس المجتمع منها تتكوَّن الأمة، وبصلاحها تصلح وتنال ما تؤمل من غايات كريمة، والزوجان هما النواة الأولى التي ينبثق منها المجتمع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٣]، والأسرة هي المأوى الذي هيَّأه الله للبشر يستقرُّ فيه ويَسْكُنُ إليه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: الآية ٢١]، وقد رغّب الإسلام في النّكاح وجعله من سنن المرسلين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: الآية ٣٨]، في

الزَّواج إعمار الكون وإقامة الشَّرع وسكن النَّفس ومتاع الحياة. بقيامه تنتظم الحياة ويتحقق العفافُ والإحصان، مقاصده سامية وغاياته حميدة، علاقة الزّوجين فيه علاقة روحية كريمة، حينما تصح هذه العلاقة وتصدق هذه الصلة فإنها تمتد إلى الحياة الأخرى بعد الممات: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الرّعد: الآية ٢٣]، وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: الآية ٢١]، ولأهمية النّكاح في الإسلام وجَّه طالبَه إلى اختيارِ المرأة ذات الدّين التي تحقق له مقاصدَ الزَّواجِ الشَّرعية فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدّين تربت يداك**» (متفق عليه).

الزَّوجة الصَّالحة خير متاع يُتطلع له ويستمسك به، يقول النبي ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**» (رواه مسلم). ذات الدين مطيعة لربِّها ثم لزوجها لا تتعالى عليه ولا تتمرد على قوامته ولا تسعى إلى منازعته، تراها ساعية في راحة زوجها، قائمة على خدمته، راغبة في رضاه، حافظة لنفسها، كل ذلك ليقينها بأن فوزها بالجنة ونجاتَها من النار معلقٌ بطاعة زوجها مع قيامها بما فرض الله عليها، يقول النبي ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أيّ أبواب الجنة شئت**» (رواه ابن حبان)، دينها جَمّلها في ظاهرها وباطنها، يدها في يد زوجها لا تنام إذا غضب عليها زوجُها حتى يرضى، أما الجمال والنضارة فتزيلها الأيام، والمال غاد وعائد، ولا يبقى إلا الدين والخلق الكريم، فاظفر بذات الدين تربت يداك.

أيها المسلمون:

إن مشكلة العنوسة وعوائقَها في المجتمعات راجعة إلى خلل في التصور، وخللٍ في تطبيق الشريعة، يُقَوَّمُ الخاطب بالوظيفة والشهادة

والمرتَّب والوجاهة، ويُرجَأ إنكاحُ الفتاةِ بحجة الدراسة فتمضي السنوات متلاحقة وهي بين التسويف والتعليل والوهم والخيال، في كل يوم تذبل زهرتها فتعيش مع الهموم والأحزان، حرمَها وليُّها لقبَ الزوجةِ والأمِّ والجدة، حرمها ولداً صالحاً يدعو لها، يُحيي ذكرها ويَعْمُر حياتها بعد مماتها، ترى طفل غيرها فيذرف دمعها من آثار ظلم وليها.

أيها الأب:

إن المال والجاه والمناصب أعراض زائلة ومظاهرُ خدَّاعة، وأما الدين والخلق فهما جوهران باقيان يصحبان المرء فاقتصر عليهما في اختيار الزوج، يقول النبي ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**» (رواه الترمذي وابن ماجه)، إنَّ التأخر عن سنِّ الزّواج انحرافٌ عن المنهج السويّ وثلمة في المجتمع، يترتب عليها جملة من المفاسدِ والانحرافاتِ في الأخلاق والسلوك، ومن الحلول: عدم ردّ الخاطب إلا لخلل في دينه أو خلقه، ولا غضاضة في عَرض الرجل ابنته أو أخته على رجل صالح، فهو من هدي الأنبياء والصالحين، فقد عرض شعيب ابنته على موسى ـ عليه السلام ـ فقال له: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القَصَص: الآية ٢٧]، وعرض عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ابنته حفصة على أبي بكر الصديق وعلى عثمان بنِ عفان ـ رضي الله عنهم ـ، بل إن هذا الصنيع من وضع الشيء موضعَه، ومن أداء الأمانة إلى أهلها، ومن كمال النصح للمرأة.

أيها المسلمون:

إنّ يسر المهر من أسباب الوفاق والمحبة بين الزوجين يقول النبي ﷺ: «**أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة**» (رواه أحمد). ولو كانت المغالاة في المهور مكرمةً في الدنيا، أو تقوى في الآخرة لكان أولانا بها النبي ﷺ، فلقد كان صداقه عليه الصَّلاة والسَّلام خمسمائةَ درهم، وتزوج عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ على وزن نواة من ذهب، فقال له

المصطفى ﷺ: «**بارك الله لك**» (رواه البخاري)، وزوج النبي ﷺ رجلاً من الواهبة نفسها بما معه من القرآن (متفق عليه).

ولقد اشتط بعض الناس في المغالاة في المهور، وسرت بينهم في الحطام المنافسات، فجعلوا بناتهم بضاعة، وظنوا أنها متاع يَطْلُبُ مبتاعاً، وما علم هؤلاء أن المغالاة في المهر من قلة بركة النكاح وعسره، إنَّ المرأة للرجل نفسٌ لنفس وليست بضاعة لتاجر، إنَّ ميزان الرِّجال لا يوزن بمالٍ ولكن يوزن بالمعاملة وحسن الخلق ورعاية المسؤولية، والاغتباط لا يكون إلا بالدين والخلق والاهتمامِ بغرس المودة، لا فيما تَعْجِز عنه أيدي الشباب، ولا ما لا تبلغه طاقاتُهم.

وإنَّ من إمارةِ الزواج الموفق أن يكون بعيداً عن البذخ في وليمة النكاح، وخالياً من المنكرات من الغناء والاختلاط وغيرهما، هديه عليه الصَّلاة والسَّلام ما قاله لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «**أَوْلِمْ ولو بشاة**» (رواه البخاري). فلا إسراف فيه ولا عصيان ولا مخيلة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفُرقان: الآية ٥٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الرَّحيم الرَّحمن، خلق الإنسان وعلَّمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريمُ المنَّان، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله خيرُ ولد عدنان، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد: أيها المسلمون:

المعاشرة بالمعروف لا تتحقَّق إلا بمعرفة ما لكل واحد من الزَّوجين وما عليه، ومن رجاحة العقل توطينُ النفس على قبول النقص، والغضِّ عن بعض المنغصات، فالمرأة ضعيفة في خَلْقِها وخُلُقِها، وإذا غفل عن جوانب الخير فيها وحوسبت على كل شيء عجزت عن كل شيء، والمبالغة في تقويمها يقود إلى كسرها، وكسرها طلاقها.

والمرأة المسلمة يجب أن تعلم أن السعادة والمودة لا تتم إلا حين تكونُ ذاتَ عفةٍ ودينٍ، تطيع زوجها وتَقْبَلُ قِوامته التي جعلها الله له، ولا تتنكر لفضله وعِشْرتِه الحسنة، ولا تسيء إليه إذا حضر ولا تخونه إذا غاب. أوصت حكيمة من العرب ابنتها ليلة زفافها فقالت لها: كوني له أرضاً ذليلة يكن لك سماء ظليلة، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وإن كنت له أمة كان لك عبداً، ولا تكثري من الإلحاح فيقلاك، ولا تُفْشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، ومن كان أشد احتراماً فإنه لا يلقى إلا محبة وإكراماً وطول المرافقة تكون بكثرة الموافقة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...